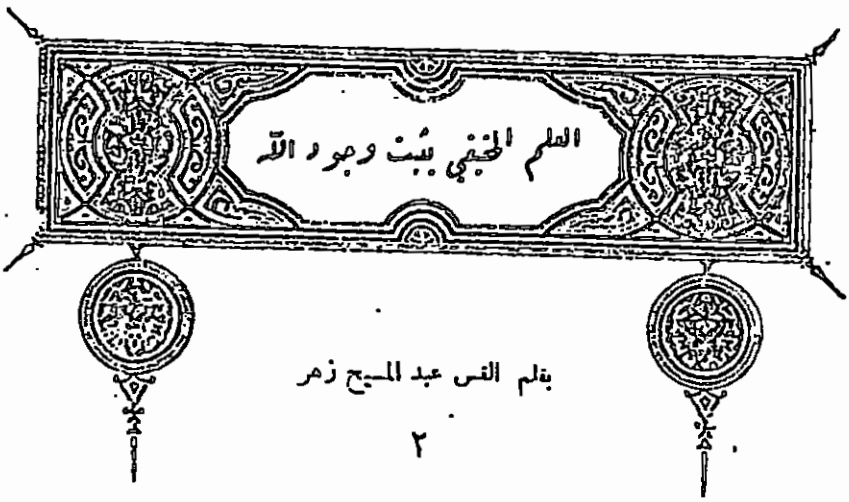

بقلم القس عبد المسيح زهر

وما عدا من ذكرنا من العلماء سابقاً نستطيع ان نذكر ايضاً عدداً وافراً من الذين احرزوا خطر السبق في انواع العلوم.

فمن الفلاسفة: اراسم ، وفرنسيس باكون الانكليزي صاحب التآليف العلمية والفلسفية ، وانطوان ارنلد صديق پسكال ، ولابروير ، ولوك ، وكلارك ، ومستر ، وبونالد وغيرهم.

ومن القضاة والفقهاء : توما موروس صاحب الايمان الحي ، ودومولان ، وداغسو ، ولاموانيون ، ودُمات ، وغروسيوس صاحب المقال «في حقيقة الدين» وترولنغ.

ومن المؤرخين : إمابيون الراهب البندكتي ، ونُوَل الكسندر احد الرهبان الدومنيكيين ، والاب تيلمون ، ورولّان ، وفاردي المؤرخ الكنسي ، ودوت كلمت البندكتي ، وبرجير ، والاب نُونت ، والاب غنه ، وشتوبريان ، وفردريك اوزنام ، وآخرون كثيرون.

ومن مشاهير الفلكيين: هرشل ، ولاپلاس ، وبينت ، والفريه الذي وجد السيارة نبتون على رأس قلمه ، والاب سكي ، وفاي ، والكولونل ده ليفوندس ، والاب مورو.

ومن اعيان الرياضيين : بُويل الايرلندي ، واولر الذي اظهر في رسائله شدة كرهه للكفّار ، وكوشي مؤدّب دوق بوردو ، وجان برنولي ، وهرميت احد اساتذة السربون ، وپويزو ، وهيدن ، وجيلبرت وغيرهم.

ومن افاضل علماء الكيمياء : لافوازيه المشهور بقتواه شهيد الظلم ، وبرزليوس الاسوجي ، وبرتولّه ، وغاي لوساك احد اساتذة السربون ، وتنارد احد اساتذة السربون ايضاً ، و ج . ب . دوماس احد اعضاء المجمع العلمي ومجمع المعارف والطب ، وليبيغ الالماني الاستاذ في مونيخ ، وشفرول الذي حلّل الزيوت والادهان ودرس الالوان ، وورتز الذي علّم الكيمياء الطبية في باريس بمدرسة الطب وآخرون غيرهم .

ومن البارعين في العلوم الطبيعية الحديثة : ريور ، وفولتا الايطالي [1] ، وأمبر التقيّ ، وفارادي الانكليزي ، و ج . ب . بيو ، وروبر ماير ، وبلاتو ، وفرسنل ، وكلوزيوس الالماني ، وبكرل ، ومكسول ، ووليم تومسون ، وبرنلي وغيرهم .

ومن الذين عنوا بكشف اسرار العلوم الطبيعية الحديثة : بوفون مؤلف التاريخ الطبيعي واعصر الطبيعة ، ولينه الذي عني بدرس النبات ، وانطوان ده جوسيو النباتي ، واخوه برنارد ، وهلر ، وكوفيه وبلانفيل ، ولاترى ، واتين جوفروا سانت هيلر ، ولويس آغاسيز المشايع كوفيه على آرائه ، والفنس ميلن ادوارد ، وايزيدور جوفروا سانت هيلر ، وغراسيوله ، وكاترفاج الذي دافع عن وحدة اصل الانسان ، وبرونفيار الاب والابن ، وإلي بومون ، وفان بندن البلجيكي ، وده ترنويل ، وأوماليوس دالوا البلجيكي ، والاب هاوي ، واندره دومون ، ودوبره ، والبر غودري ، وده لاباران ، ودوبويتون ، ولائنك ، وكوفيه ، وفلورنس ، وتولان ، وكلود برنار ، وپاستور اكبر المحسنين الى النوع البشري ، وآخرون كثيرون [2]

ومن الخطباء والفصحاء : بوردلو ، وفلشيه اسقف نيم ، وماسيون ، وبريه ، ومُنتالمبر ، ولاكوردير وغيرهم .

ومن مشاهير الشعراء ، مالرب ، وكورنيل ، وبرالو ، وراسين ، و ج . ب .

---

١) كتب هذا العالم عند آخر حياته قال : « اوتيت كثيراً وفتّشت ، والآن لا ابصر غير الله في كل مكان . »

٢) *Cours d'apalogétique chrétienne, p. 42*

روسو ، وسيلشيو پليكو ، ولامرتين الخ.

وبقي اكثر الشعراء والعلماء والفقهاء وارباب الادب والمؤرخين والفلاسفة مسيحيين الى الجيل الثامن عشر . ولسنا ننكر ان بعضهم قد ضلّوا وحادوا عن الصراط المستقيم بسبب تغلّب الاهواء عليهم ، ولكنهم تابوا الى الله قبل موتهم . فمن هؤلاء مونتين ، ولافونتين ، ومنتسكيو ، ويوفون ، ولا هارب ، ولعل ڤولتر منهم . اما جان جاك روسو فقد كتب في الايمان والدين كتابات جمة جُمعت في كتاب عنوانه « جان جاك روسو المدافع عن الدين المسيحي » . ومنهم ايضاً مين ده بيران ، وروبيه كلّار ، وجول سيمون ، وفرنسوا كوپيه ، وبول بورجه الذي بكى طويلاً ايمانه المفقود ، قال : « وبينما انا جالس في زاوية الى جانب النار مريضاً وحدي ، فكرت حيناً في الشتاء يوم كنت اؤمن بالله وبكيت . » فاذن اين عدد الكفار من العلماء اذا قوبل بالمؤمنين منهم ؟

شهادات بعض العلماء

قال سوفكل : « ملك الاولمب ابوها (الشريعة العامة) وهي لم تأتِ من بشر ولن يمحوها النسيان ، لان الله الاله الاعظم لا يهرم فيها[1] . »

وقال افلاطون : « كل من كان لهم شيء من العقل يستخفون بالالهة في اول اعمالهم ان كبيرة او صغيرة . »[2]

وقال ارسطو : « متى تأمل المرء الارض والبحر والسماء ، هل يستطيع ان يرتاب في وجود اله عظيم قد صنعها ؟ »[3]

وقال شيشرون : « ان الشريعة الاولى الحقيقية هي عقل الله القدير المستقيم . وهذه الشريعة عامة ثابتة ازلية تعلّم الخير وتنهى عن الشر ، ولا تستطيع شريعة تضعيفها او الحذف منها ، بل لا الشعب ولا مجلس الشورى يقدران على الاعفاء من الخضوع لها . وهي تفسّر نفسها ولا يمكن ان تكون في رومية خلافاً لما هي عليه في أثينة ، ولا اليوم خلافاً للغد . لان هذه الشريعة غير المتغيرة المقدسة

(١ Sophocle, *Œdipe roi V. 863*

(٢ *Tim.*

(٣ *Cf. Cic. de Nat. deor. II, 37*

سوف تسود ويسود الله معها في كل مكان وزمان. اذ ان الذي سنها وجزمها هو الله رب العالم وملكه .»[1]

قال ايضاً :« ما من امة جافية متوحشة الا وتؤمن بوجود الآلهة ولو انها تغالط في طبيعتهم .»

وقال :« ان الآراء متشعبة في شأن طبيعة الالهة ، ولكن لم يجحد احد وجودهم .»

وقال في مكان آخر :« كل حكم من قبل الطبيعة متى كان عاماً وجب ان يكون حقاً. اذن الاقرار بوجود الآلهة واجب.»[2]

وقال بلوتركس :« انك اذا طفتَ في الارض امكنك ان تجد مدناً غير مسوّرة... ولكنك لا تجد شعباً بلا اله وصلوات وايمان وعبادات وذبائح.»[3]

وقال مكسيموس الصوري الفيلسوف : « ان اليوناني والبربري وساكن القارّة والجزيرة يقرون بوجود الله باجماع الكلمة .»[4]

قال ترتليانس :« اتريدون ان نبرهن على وجود الله ... من شهادة نفسكم ؟ انها بالرغم من سجن الجسد الذي يضيّق عليها ، واوهام التربية التي تقيّدها ، والاهواء الردية التي تنهكها ، والاصنام التي تفسدها ، متى ثابت الى رشدها ... وافاقت من سكرتها ، وتنبّهت من وسنتها ، وعادت اليها صحتها وعافيتها تذكر الله قائلة : يا الله ، يا كريم ، ان شاء الله. هذا نداء كل منا . فيا لشهادة النفس المسيحيّة طبعاً.»

وقال ايضاً :« ما من شيء يمثل لنا الله مثل القصور عن فهمه ، فان كماله غير المتناهي يبديه ويخفيه عن البشر في وقت واحد.»[5]

وقال كپلر :« اشكرك ايها الرب الخالق على ما استفزّني من الفرح لدى تأملي اعمالك التي بثثت عظمتها للبشر.»

وقال نيوتن :« ان في حركة السيارات ونظامها وتنقّل اعوانها ووجهتها

---

١) الجمهورية ، الكتاب ٣ عدد ١٧

٢) طبيعة الالهة ، ١٧ و ١ و ٢

٣) *Adv. Col. Epic.*

٤) *Dissert., I*

٥) *Apolog., 17*

وسيرها وشدة اسراعها اثرًا من المثورة وشهادةً على عمل علّة لا عمياء ولا اتفاقية . »

وقال لابروير : « اني احسّ بوجود الله ولا احسّ بان لا اله وهذا حسبي . برهان العالم لا ينفصي فاستنتج وجوده . وهذه النتيجة مركوزة في طبعي وقد تلقّنت مبادئها بسهولة في صباي ، وحفظتها الى شيخوختي ، ولم يخطر قط على بالي بطلانها . الا ان بعض العقول تنبذ هذه المبادئ والصوبة تدور على وجود امثال هذه العقول . فاذا صح ذلك ووجدت فهو دليل على وجود المسوخ . »[1]

وقال ڤولتر : « كل ما في العالم صناعة والصناعة تدل على صانع . تأمل حلزونًا او حشرة او ذبابة تجد فيها صناعة غير متناهية تعجز الصناعة البشرية عن احتذائها . فاذن لا بد من وجود صانع في غاية الحذق ، وهذا الصانع يسميه الحكماء الله . »[2]

وقال ايضاً : « ما اورد احد بعد ادلة تنفي وجود عقل سام . » وايضاً : « التعطيل النظري من اغرب الحماقات . »

وقال : « اذا كانت الساعة تدلّ على ساعاتي ، والقصر على بنّاء ، فكيف لا يدل هذا الكون على عقل سام ؟ بل اي نبتة او حيوان او عنصر او كوكب لا يظهر فيه اثر من ستاه افلاطون المهندس الازلي ؟ »[3]

وقال تروانغ : « بعد ما قرأت كثيرًا وفتشت طويلًا واشتغلت حيناً ، ما وجدت حقًا سوى التعليم المسيحي . »

كان نابوليون يحب مجادلة منج ولاگرانج ولابلاس علماء عصره في المسائل الفلسفية والدينية . وكان نابليون يحبهم ويكثر من الاكرام لهم ، ولكنه افحمهم مرارًا بقوة براهينه ووضوح دلائله . قال ذات يوم لمنج : « ان ديني بسيط جدًا . اتأمل هذا الكون الفسيح الارجاء الكثير التعقيد الفائق الجمال فاقول : ان هذا لا يمكن ان يكون نتيجة الاتفاق ، بل هو بالحري عمل كائن

---

١) الفصل ١٦

٢) *Œuvres de Voltaire. éd. de Kehl, t. 46, p. 30*

٣) ڤولتير : تعليقات على *les Cabales*

مجهول قدير يفوق الانسان كما يفوق الكون اجل الآلات التي عندنا . ففتش يا مُنج وابحث واستقص انت واصحابك علماء الرياضيات والفلسفة ، فلست تجد برهاناً اقوى واقطع . ومهما حاولت دحضه فلن تتوصل الى تضعيفه .»[1]

وقال هرشل :« مهما اتسع ميدان العلم زادت وثبتت البينات على الوجود الازلي والعقل الخالق . »

وقال لينه :« رأيت الله كما رآه موسى ونظرت قفاه وهو مارّ . رأيته فخرست واستولى العجب عليّ واخذتني الحيرة . ولكني تمكنت من اكتشاف آثار رجليه في اعمال الخلق ، اذ ان في اعماله الصغيرة المحسوبة كلا شيء قوة وحكمة وكمالا لا يوصف . »[2]

وقال ديدرو :« قدّر ان بعض الحمقى ينكرون على امثالك قوة التفكير . فاذا يتتج من هذا الانكار ؟ ينتج انه اذا كان الكون — ولماذا اقول الكون — بل بالحري جناح الفراشة يمثل لي آثاراً متميزة الف مرة عن العقل الذي يدلك على ان مثلك حاصل على قوة التفكير . فانكار وجود الله اكثر حماقة الف مرة من انكارك التفكير على مثلك . فاذا كان الامر كذلك ، فانا احاكمك الى نور عقلك وضميرك . متى رأيت في قوى بعض الناس العقلية وافعالهم وتصرفهم عقلاً ونظاماً وذكاء واهمية اكثر مما في آلات الحشرات .»[3]

وقال دالامبر :« قال الكافر : اني اذا رفعت رأسي الى السماء صدقت رؤية آثار الاله ؛ ولكن اذا نظرت الى ما حولي ... الجواب : انظر الى باطنك ؛ ولكن الويل لك اذا كنت لا تقنع بهذا البرهان . في الحقيقة انه لا حاجة لنا الى النزول الى اعماق نفوسنا لنرى فينا عمل العقل السامي الذي وهب لنا الوجود ويحفظه فينا . فهذا الوجود معجزة لا تؤثر فينا لانها دائمة متواصلة . غير انها تمثل لنا في كل وقت قوة سامية بها منوط امرنا . ومهما كان اثر عمل هذه القوة محسوساً فينا وفي ما يحدق بنا فمع ذلك لا عذر لنا في

---

١) تاريخ الفضيلة والمملكة ، وجه ٢٣٠

٢) Linné, *cité par l'éditeur de la Raison du Christianisme*

٣) المؤلف المذكور سابقاً

التفتيش عنها في الاشياء التافهة التي لا طائل فيها . »[1]

وقال تيرس : « ان اكبر العقول يحار في عجائب الخلق . فالعقل يبين العقل في الكون ولذلك كان العقل الكبير اقدر من الصغير على رؤية الله من خلال اعماله . »[2]

واذا حاولنا ايراد اقوال العلماء في اثبات وجود الله ضاقت الصحف ونفدت القراطيس فنكتفي بما ذكرنا وحسب.

ولعل معترضاً يعترض قائلاً : ولكن العالم ما خلا من علماء اعلام اصحاب عقول ثاقبة واحلام راجحة اصرّوا على انكار الاله.

الجواب : اللهم نعم . غير ان انكار هذه الفرقة وجود الله لا يستطيع نسخ الحقيقة وهدم صرحها ، ولاسيما ان هؤلاء العلماء ما ايدوا قط قولهم بالادلة الواضحة والحجج اللائحة ، بل اقتصروا على الانكار بلا حجة ودليل. على ان الحقيقة المثبتة بالبراهين الساطعة والبينات الناصعة لا يبطلها اعتراض المعترضين ، ولاسيما ان الكفار الحقيقيين عددهم نزر يسير ، بل ان بعض الفلاسفة انكروا وجودهم ، لان ليس كل من انتسب الى الكفر كان في التحقيق كافراً مقتنعاً بكفره . ولذلك ليست الاسباب الدافعة الى الكفر من نتائج العلم الصحيح بل ما هي الا ثمرة تسلط الشهوة على العقل. قال الحكيم : « سحر الاباطيل يغشي الخير ودوار الشهوة يطيش العقل السليم. »[3] وقال فليكس لدنتك : « عدد المعطلة قليل في عصرنا ولو قالوا بما قالوا. »[4]

فبرهان الكافر هذا هو : اني لا اعتقد وجود الله لاني كافر. هذا برهان الكفر . وقد اعتاد المعطل الجزم والقطع في الامور بلا فحص واطالة نظر . بل ان كثيراً من هؤلاء الاشقياء البائسين يجهلون مبادئ الدين الذي يشنون عليه غاراتهم ، واذا تدارسوها حيناً كان ذلك منهم فضولاً او سبباً لمقاومتها والاجتهاد في ابطالها . اما ضلال الذاهبين الى ان العلم قادر على كشف

---

١) D'Alembert, *de l'abus de la critique en matière de Religion, chap. VII.*

٢) تاريخ الفلسفة والملكة ، المجلد ٣ وجه ٢٠٩

٣) حكمة ٦ : ١٢ ٤) طالع كتابه المنون *L'Athéisme* ، صفحة ١٧

الاسرار فاقبح واشد فظاعة. وتأييداً لهذا المدعى اسمع ما قال اللورد سالسبوري في شهر آب سنة ١٨٩٤ ، في حضرة اعضاء مجمع تقدم العلوم البريطاني في اكسفرد : « كان يُظن سابقاً ان نظريات مذهب النشوء مضرة من الوجهة الدينية ، ولربما كان الامر كذلك ، لو سدّت الاشباح مدّ الاعيان ، وأقيم البرهان على كون العلم ومذهب النشوء الكفري متلبثاً احدهما بالآخر ، وكون العلم والدين غير متفقين ... ولكن قليل هم الذين يظنون في وقتنا الحاضر ان معاهد الاختبارات العلمية ، او المجاهر تستطيع استجلاء الالغاز المتعلقة بطبيعة النفس البشرية ومصيرها . على اننا عائشون في وسط واحة من العلم زاهرة ، ولكنها ضيقة يحدق بها من كل جهاتها اقطار حافلة باسرار لا يسبر غورها ولم يفرعها بعدُ احد ... فالاقرار بجهلنا خير جواب على الالغاز التي تطرحها علينا الطبيعة . »

فاذن من بلغ من العلم ما استطاع به ادراك كنه الدهر كيف لا يكون اسرع ادراكاً لرب الدهر ؟ كما قال الحكيم . على ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حقي من طبعهم ، اذ لم يقدروا ان يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة ، ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها . واذا كانوا دهشوا من قوة « الطبيعة » وفعلها ، فليتفهموا بها كم منشئها اقوى منها . فانه بعظم جمال المبروءات يُبصر فاطرها على طريق المقايسة[1] . وقال الرسول بولس : ان غير منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروءات ، وكذلك قدرته الازلية والوهته حتى انهم لا معذرة لهم[2] .

الخلاصة : الجاهل وحده قال في قلبه ليس اله[3] . اما العالم فقد عرفه ومجده واعلن قدرته .

---

١) حكمة ١٣ : ١-٩ ٢) رومية ١-٢٠

٣) مز ١٣ : ١